الإعجاز القرآني

مدخل

نظرية معرفية في نظم الكون ونظام الكائنات

ترى ما الحكمة الكائنة الكامنة وراء جعل معجزة آخر الأنبياء وخاتمهم معجزة قول أو معجزة كلمة؟ ثم لماذا تتحد المعجزة من اللسان العربي معبرا لاعجازها المطلق والشامل؟ ثم، وبتخليط آخر للون الاصل، واستتباعا للسؤال في السؤال، ترى هل نقدر أن نجعل من الظاهرة القرآنية بوصفها معجزة لسانية، مدخلا لقراءة الكون في الآفاق وفي الانفس؟ اي بتعبير آخر، هل نقدر أن نجعل من البلاغة القرآنية (بلاغة (أحسن الحديث) مدخلا لقراءة بلاغة السماء وبلاغة الأرض وبلاغة الزرع والطير والبحر..؟ بجملة القول هل نقدر ان نصوغ من العبقر البلاغي العربي الذي سلك القرآن مسالكه في أرضه، نظرية معرفية وهل نقدر أن نجعل منه مدخلا كونيا لقراءة الفعل الالهي، فعل الخلق، وذلك بعد توسيع كفاءة ذلك العبقر ثم إسقاطه على الكائنات فيزياء وكيمياء وأحياء ورياضة؟

هذا هو السؤال الرئيس الذي يتكون به هذا الكتاب محاولا من خلال ثلاثة أبواب أو مداخل الاجابة عنه، إجابة تنحو بصاحبها منحى علميا قدر المستطاع وهو يناقش قرآنيا قضايا من مثل نشوء الكون، خلق الإنسان، اللسان واللغة، السمع والبصر، الصوت والضوء، النسبية، ثابت الضوء، الحركة، النظام الوراثي ..الخ، وكل ذلك وغيره، انطلاقا من مدخل البلاغة القرآنية ودلالتها، نحوا وصرفا، بيانيا ومعاني وبديعا، ممتلة بالأمر الإلهي الأول أمر الكن فيكون.

دار أسامة
للنشر والتوزيع

هاتف ٥٦٥٨٢٥٣-٤٦٤٧٤٤٧ / فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤
ص.ب ١٤١٧٨١

الإعجاز القرآني

مدخل

نظرية معرفية في نظم الكون ونظام الكائنات

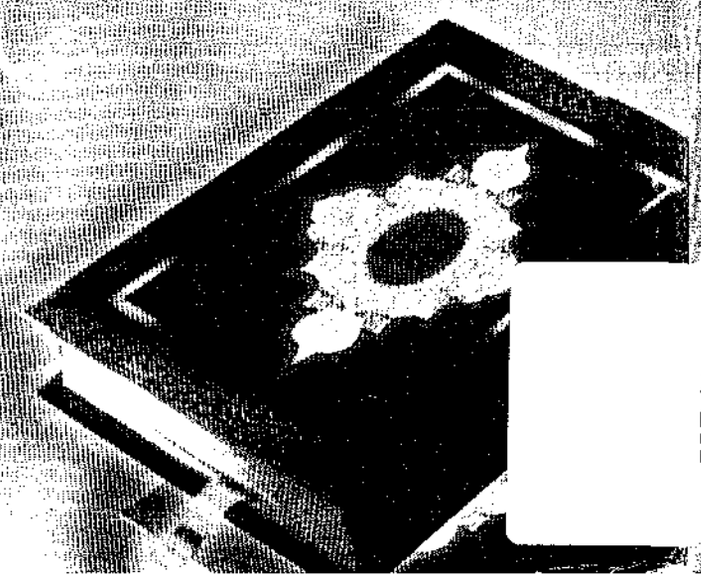

الإِعْجَـازُ القُرْآنيُّ

التبيـان ـ التكوُّن ـ القراءة

مُدْخَلٌ

لنظرية معرفيّة في نشوء الكَوْن ونظام الكائنات

الكتاب الأوّل

عبـاس أمـير

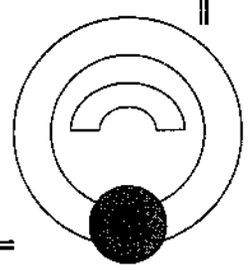

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن – عمّان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٠)

الإهـداء

وردَ عن نبي الرّحمة،

" إنّ القُرآنَ يَلقَى صاحِبَهُ يَوْمَ القِيامَة حينَ يَنْشَقُّ عنهُ قَبْرُهُ كالرجلِ الشّاحبِ يقولُ له: هلْ تَعرفني؟ فيقولُ: ما أعرِفُكَ، فيَقُولُ له: أنا صَاحِبكَ القرآنُ الذي أظمأتكَ فيَّ وأسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وإنّ كلّ تاجرٍ من وراءِ تِجارَتِه، وإنّكَ اليومَ من وراءِ كلّ تجارةٍ، قالَ: فيُعطى المُلكَ بيمينهِ والخُلْدَ بشماله، ويُوضع على رأسِهِ تاجُ الوَقَار، ويُكسَى والداه حُلّتَين، لا يَقُومُ لهما أَهْلُ الدّنيا، فيَقولان: بِمَ كُسِينَا هذا؟ قال: فيُقال لهما: بأَخذِ ولدكما القرآن.." صدق رسول الله.

(مصنّف ابن أبي شيبة-كتاب فضائل القرآن)

إلـى روح امرأة صبرت وصابرت ورابطت وهي تعطف عينيها على وحيدها خمساً وثلاثين من السنين ثم أغمضتهما وفي الموق دمعة بعد أن قضى الله أمراً كان مفعولاً.. والدتي..

إلـى روح رجلٍ احترم فيّ رجولته... والدي...

اللّهم يا من قضيت عليّ بالإحسان إليهما وقرنت الإحسان إليهما بعبادتك.. اعطف عليهما إحسانك، أنت الولي بالإحسان بحقّك على القرآن وبحقّ القرآن عليك..

مقدّمة – أو في المنهاج

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله، به الحمد وإليه الحمد، حمداً ليس لنا بلوغ غايته، اللهم لا نُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك...

والصلاة والسلام على من أرسله ربُّه بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون، النّبي العربي المبين، محمد، القرآن الناطق، آخر الأنبياء وأولهم السابق، وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وعلى صحبه الميامين الذين استنّوا بسنّته واتّبعوه، وعلى من والاه بإحسان إلى يوم الدّين...

ما أرسل الله سبحانه من رسولٍ إلاّ وأظهر به ومعه ما يُؤيّد نبوّته من تأييدات إلهية، كأن تكون تأييد موسى بعصاه التي لقفت سحر السحرة، أو بفلقه البحر أو انبجاس الحجر عيون ماءٍ روّاء..

ومن مثلها تأييد عيسى بيده التي كانت تُبرئ الأكمه والأبرص، أو بخلق الطير من الطين، أو بإحياء الموتى...

ولقد أرسل الله سبحانه، نبيّ الرحمة بدين الحقّ، دين الإسلام، لا إلى قوم بعينهم،أو أمّة بذاتها ولعصر دون غيره، وإنما إلى الناس جميعاً في كلّ الأمكنة والأزمنة. ولقد أيّده سبحانه بمعجزات وتأييدات مِن مثل ما أيّد به السابقين من الرسل، كأن تكون تسبيح العصا بين يديه الكريمتين أو مجيء الشجرة إليه أو تظليل الغمامة له... الخ، ولكن تلك التأييدات والمعجزات لم تكن بالتي هي خاصّة بنّي الرحمة بوصفه الرسول الذي أُرسل للناس جميعاً فلا محدوديّة لرسالته ولا تقييد لمعجزته بكائن أو مكان أو زمان.. ولهذا لا بدَّ من تأييد جامع، لا يحدّه المكان أو الزّمان، تأييد كليّ شموليّ لا سبيل إلى الإحاطة بشيء مما هو سمْته في الإعجاز، لا بالنسبة إلى عصر البعثة حسب

وإنّما بالنسبة إلى العصور كلّها، ولا بالنسبة إلى من بُعث فيهم النّبي حصراً، وإنما بالنسبة للبشر جميعاً، ولا بالنسبة إلى مكان بعينه، هو مكان الجزيرة العربية، وإنما بالنسبة إلى الأمكنة كلّها...

لقد كانت التأييدات السابقة للتّأييد المحمّدي، تأييدات بصرية من حيث هي معروضة للإدراك الحسيّ بالنسبة للإنسان، (العصا، فلق البحر، انفجار الماء من الصخر، إبراء المرضى، خلق الطير من الطين... الخ)، أمّا التأييد المحمدي الشامل، فكان تأييداً سمعياً من حيث هو معروض للإدراك الحسيّ بالنسبة للإنسان. فالتأييد هو القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى تبياناً أو كشفاً وإظهاراً وإيضاحاً لكلّ شيء مما هو غير واضح معرفياً بالنسبة إلى زمن النزول ومكانه قبل ألف وأربعمائة من السنين، وممّا هو غير واضح مما يستجدّ من مشكلات وتساؤلات معرفية بالنسبة إلى الأمكنة والأزمنة اللاحقة بلا استثناء...

ولقد أدهشت المعجزة المحمّدية أولئك المعنيين بالقول وفنونه، شعره ونثره، اختيار كلماته أو رصفها وتنظيمها،علوُّ معانيه أو روعة الإبانة عنها.. فقالوا في القرآن ما قالوا، وافترقوا فيه شعبتين، شعبة آمنت وشعبة جحدتْ، فقالت التي جحدت، إنه شعر، أو سحر، أو أساطير الأولين، أو إنه مفترى وإنهم قادرون على مثله، وتحدّاهم القرآن بأن يأتوا بمثله، وما زال يتحدّى الجاحدين أينمّا كانوا ومتى كانوا.. وما زال يُعجزهم كما أعجز السابقين...

ولقد توهّم من توهّم، لقصوره المعرفيّ، أن الإعجاز القرآني، لا يتعدّى كونه تأليفاً بديعاً ونظماً عجيباً، فرأى في نفسه القدرة على مجاراة بلاغته وتقوّل شيءٍ على منواله وسِمْتِه، فحاول من حاول، وليس ثمّة أبين من محاولة ابن الراوندي، ومن قبله محاولة مسيلمة الكذّاب، تلك المحاولة البائسة التي ثبت فشلها بلاغياً، أي فنيّاً، وما هي إلاّ فاشلة قبل ذلك، فالفشل البلاغي نتيجة طبيعية لفشل أعمق، ألا وهو فشل القدرة

البشرية مهما كانت، وعجزها مهما أوتيت من فصاحة القول وبلاغته، عن الكشف والإيضاح والإظهار الكلي الشمولي لما وراء الكلمة، لا حصراً فيما يتعلّق بالانفعال النّفسي أو الدهش الذّوقي أو الشعور الداخلي، بأمر ما معجب أو ممتع أو مدهش تجيء الكلمة للتعبير عنه أصدق تعبير..وإنما فيما يتعلق بالإحاطة الفكرية بالذي يراد كشفه وإبانته، وما ذاك إلاّ لأنّ سعي المتكلم إلى الإبانة الصادقة الدقيقة المطابقة تماماً لما يُريد بيانه أو كشفه، تعني ما تعني تضحيته بشطر الحسن والجمال الذي لابدّ للكلمة البليغة من الاتصاف به.. فإذا حرص المتكلم على إظهار شطر الحُسن والجمال في كلامه، ضحى بجهة البيان والكشف والإيضاح والمطابقة والمقاددة لما أراد بيانه...

ولقد فات أولئك الذين يرزحون تحت وطأة قصورهم المعرفي، وهم يذهبون إلى القول أن في نظم القرآن فساداً، وأن في أسلوبه لحناً، وأنّ في معانيه تناقضاً، وأن في نقله اضطراباً... وأنه لم يُجعل علماً للنبي، وإنما هو عرضٌ والعرض لا يدلّ على الله أو على النّبوة... لقد فاتهم جميعاً أن الكلمة القرآنية ليست تبياناً لما في النفوس الإنسانية حسب، وإنما هي تبيان لما في الأشياء جميعاً سماءً وأرضاً وما يتعلق بهما.. وهل بمقدور أحد من بني البشر ذلك؟.. فهي إذن تبيان كلي وليس تبيانها الكلّي إلاّ بقرنها بأختها، ثمّ قرن الآية بالآية والسورة بالسّورة..ثمّ قرن الجميع بآيات الله خارج القرآن، فالقرآن تبيان لكل شيء... وما يبدو على ظهر هذه الأرض أو من على صفحة السماء غير منتظم ظاهراً ماهو إلا منتظم داخلاً وعمقاً، ولا بدّ من ردّ المظهر إلى الظاهرة والظاهرة إلى العمق المشترك الكائن فيها والكائنة به... وكذلك هو النص القرآني.. ولقد فات أولئك الواهمين وهم يخضعون لآلية الإدراك الجزئي المحدود، أن الاختلاف المظهري سنة الله في الكون، كما هو سنّته في القرآن، فالقرآن تبيان لكل شيء من تلك الأشياء المختلفة ظاهراً ، فالذي يُميّز الأشياء هو الاختلاف المظهري الكائن بينها حجماً وكتلة، لوناً وهيئة... ولكن الاختلاف نابع من صلب الوسط الكوني المشترك الذي

ثبتت فيه تلك الأشياء.. وهذا هو الإعجاز القرآني وهذه هذه بلاغة كلمته التي بيّنت وما زالت تبين وتكشف عن ذلك الوسط الكوني الذي يجمع الشيء على الشيء ويقرن الشيء بالشيء،ودونما تضحية بشطر الجمال والحسن البادي من على الكلمة القرآنية، والذي هو مطابق للحسن أو الزينة البادية من على سطح الأرض وصفحة السماء...

إنّ مما تقضي به مقدّمات الأمور،وضع الأشياء مواضعها وبما يكشف عمّا هو سابق منها أو لاحق، وعما هو أصل ومترتب، على أن السابق بالنسبة إلى ما بعد المقدّمات سيكون خافياً مُضمراً منسرباً في النتائج،وإن الأصل بالنسبة إلى المترتب عليه سيكون مُدخلاً ليس للمترتب من رجاحة بيانٍ وبلوغ إبانة إلاّ بالتدليل عليه (على المدخل). فما المترتب إلاّ ظاهر الباطن، وما المدخل إلاّ الباطن الذي سيلجأ إليه المترتب في كلّ مرّة من مرّات كشفه وإبانته وإظهاره. فالمترتب نابت في صلب الأصل وعالق برحمه العلوق الذي يوفر له ميزته في التكوّن والتمثل،ثمّ في القدرة على التعالق مع غيره من ترتبات قضى بها الأصل، وهيأت لها أسبابها سعة المدخل. فالترتبات متباينة ظاهراً متداخلة باطناً وعمقاً التداخل الذي يقرن بعضها ببعض ويلبس بعضها بعضاً فيكشف بعضها عن بعض. فكل مترتب كاشف عن نفسه وعن غيره من جهة ومنكشف بنفسه وبغيره من جهة أخرى، فالمترتبات تخليط ألوانٍ عدّة في لون واحد، وعن لون واحد هو لون الأصل...

وما الذي لابدّ من وضعه موضعه من هذه المقدّمة إلاّ السؤال التالي ؛

تُرى ما الحكمة الكائنة الكامنة وراء جعل معجزة آخر الأنبياء وخاتمهم معجزة قول أو معجزة كلمة؟ ثمّ لماذا تتخذ المعجزة من اللسان العربي مَعبراً لإعجازها المطلق والشامل؟ ثمّ، وبتخليط آخر للون الأصل، واستنباتاً للسؤال في السؤال... تُرى هل نقدر أن نجعل من الظاهرة القرآنية بوصفها معجزة لسانية، مدخلاً لقراءة الكون في الآفاق وفي الأنفس، أي بتعبير آخر، هل نقدر أن نجعل من البلاغة القرآنية، بلاغة